ISSN: 2253-0347
مجلـــة علوم الإنسان والمجتمع
Journal of Human and Society sciences
EISSN: 2602-781X
المجلد: 10 / العدد:02 / السنة: 2021 / ص ص: 197-216

التباين اللغوي واللامساواة الاجتماعية المدرسية
قراءة تحليلية في مقاربة "الرموز اللغوية" لـ"بازل برنشتاين
Linguistic variation and school social inequality analytical reading of the "Linguistic Symbols" approach to "Basil Bernstein

تاريخ الإرسال: 2021 /04/29 تاريخ القبول: 2021 /05/10 تاريخ النشر: 2021/06/10

نسيمة تلي [1] فتيحة طويل [2]

[1] جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر ، *Email :* nassima.telli@univ-biskra.dz
مخبر: التغير الاجتماعي والعلاقات العامة في الجزائر – جامعة بسكرة

[2] جامعة محمد خيضر، بسكرة، الجزائر، *Email :* touilfatiha.07@gmail.com

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تناول قضية من أهم قضايا التعليم المعاصر في علم الاجتماع التربية للعالم السوسيولوجي "بازل برنشتاين" ، وهي قضية التباين اللغوي في ظل التفاوت الاجتماعي الموجود بين التلاميذ، وما ينتج عنه من لامساواة اجتماعية داخل المدرسة وذلك تبعا لتباين الفئة الاجتماعية التي ينتمون إليها، حيث تتلخص هذه المقاربة في رمزين لغويين أساسين وهما: الرموز المقيدة عند الفقراء والرموز المفصلة عند الأغنياء. ووصل إلى نتيجة مفادها أن التباين اللغوي مرتبط بشكل مباشر بما هو متعلق بالوسط الاجتماعي للتلاميذ من ظروف اجتماعية تعود بأثر سلبي أو ايجابي عليهم.

الكلمات المفتاحية: اللغة؛التباين اللغوي؛ الرموز المقيدة؛ الرموز المفصلة؛ اللامساواة الاجتماعية المدرسية.

المؤلف المرسل: نسيمة تلي، *Email :* nassima.telli@univ-biskra.dz

Abstract:

This study seeks to address one of the most important issues of comtemporary education in sociology scientist , « basil Bernstein » which is the issue of Linguistic disparity in light of the social disparity that exists among students, and the resulting social inequality with the schoolaccording to the differnt social group to which they blong this approach can be summed up in two basic Linguistic symbols ; the poor and the detailed symbols for the rich . in the last , it is concluded that the Linguistic fariance is dierctly related to what is related to the social milieu of the students from the social conditions that have a negative or positive impacton them.

key words : language ; Linguistic fariation ; the restricted symbols ; The elaborate symbols ; school social inequality.

مقدمة:

لقد مر علم الاجتماع التربية في تطوره بمراحل عدة حتى تبلور كتخصص علمي مستقل بذاته. حيث تزايد الاهتمام بهذا التخصص كنظام علمي أكاديمي منذ ستينات القرن الماضي، إذ يهتم بدراسة التربية في بعدها السوسيولوجي، بعدما كان موضوع التربية موضوعا عاما بمفهوم واسع في إطار فلسفي انتقل إلى الإطار السوسيولوجي، مع ولادة علم اجتماع التربية مع**"ايميل دوركايم"**.

ومع تطور الدراسات والأبحاث والنظريات برزت في علم الاجتماع التربية عدة مقاربات تبحث في طبيعة التربية الحديثة وما تنطوي عليها من نتائج في ما يتعلق بالتباين واللامساواة في المجال الاجتماعي داخل المدرسة باعتبارها مؤسسة تعليمية رسمية تتولى كل من عمليتي التنشئة الاجتماعية والضبط الاجتماعي، إذ كشفت هذه المقاربات بان المدرسة تحولت إلى مكان للصراع الاجتماعي فهي تتأثر تأثيرا كبيرا بالتباين

اللغوي بين التلاميذ تبعا لأصولهم الاجتماعية، وبالتالي تنتج اللامساواة الاجتماعية داخل المدرسة.

وباعتبار أن اللغة هي المؤشر الأساسي لنوعية الثقافة التي تسود أي فئة خاصة تلك التي تنتمي إلى الفئة الاجتماعية الفقيرة التي لا تتأقلم مع لغة الفئة الاجتماعية المسيطرة، فتعيش التهميش والعزل بسبب لغتها الغريبة عن لغة السلطة، وتكافأ في الأخير بنوع من العقاب الوراثي الذي يحمله الأبناء عن آبائهم كمحرومين يمثلون فئة ضعيفة، وهذا كله بسبب التباين اللغوي الموجود بين تلاميذ الفئتين الاجتماعيتين مما يولد في الأخير لامساواة اجتماعية داخل حدود المدرسة.

ومن بين الدراسات السوسيولوجية التي أولت اهتمام شديد بدراسة علاقة التباين اللغوي بالوسط الاجتماعي للتلاميذ نجد دراسة العالم السوسيولوجي التربوي "بازل برنشتاين" حول "اللغة والطبقة الاجتماعية" Langage et classes sociales في مقاربته السوسيو-لغوية الموسومة بـ"الرموز اللغوية" مبينا من خلالها أهمية تأثير الانتماء الاجتماعي و البنية الاجتماعية في البنية اللغوية المكتسبة عند التلاميذ.

حيث قسم "برنشتاين" هذه الرموز اللغوية إلى **"رموز مقيدة"** وهي لغة التلاميذ الذين ينتمون إلى الفئة الاجتماعية الفقيرة و**"رموز مفصلة"** هي لغة التلاميذ الذين ينتمون إلى الفئة الاجتماعية المتوسطة أو الغنية فهم بذلك اكتسبوا لغة مماثلة للغة المدرسة، ويكونون قادرين على التعامل مع متطلبات التعليم الأكاديمي الرسمي ولا يواجهون أي مشكلة في صعوبة التعلم، وبذلك يجمع بالنظر إلى لغة المدرسة بوصفها انعكاسا للغة الفئة التي تهيمن اجتماعيا، أما التلاميذ الفئة الفقيرة سوف يجدون صعوبة في التعلم نظرا لاختلاف لغته عن لغة المدرسة.

وفي هذا الإطار سنحاول البحث في هذه الورقة العلمية عن التساؤل الرئيسي المتمثل في مشكلة التباين اللغوي وعلاقتها باللامساواة الاجتماعية في المدرسة؟ من خلال إعطاء قراءة تحليلة لمقاربة العالم السوسيولوجي التربوي "بازل برنشتاين" حول "الرموز

اللغوية" للتلاميذ التي اكتسبوها من وسطهم الاجتماعي، مبينا أهمية تأثير الانتماء الاجتماعي و البنية الاجتماعية في البنية اللغوية المكتسبة عند التلاميذ. من خلال ذكر التجربة التي قام بها للتوصل إلى نتائج هامة.

2 . تحديد المفاهيم:

1.2 المفهوم السوسيو-لغوي للغة:

يعرف **"فرديناند دي سوسير"**: "اللغة هي ظاهرة اجتماعية كونها نظام من الإشارات و الرموز التي يستخدمها الإنسان للتعبير عن مجمل أفكاره". (حسام الدين، دون السنة، ص 46)

وهنا يؤكد"دي سوسير" على أهمية اللغة وعلاقتها بالبيئة الاجتماعية، وكما أن الحياة الاجتماعية هي التي تعمل على اكتساب اللغة وتطويرها وتباينها.

ويعرفها "جون ديوي" : " بأنها وسيلة اتصال بين أفراد الجماعة تؤلف بينهم على صعيد واحد". (انسي، 2000، ص 48)

كما تعرف اللغة على أنها : "ظاهرة فكرية عضوية خاصة بالإنسان دون غيره من الكائنات الحية، فهي إذن صفة مميزة للجنس البشري". (الطائي، 2009، ص 198) وهذا يعني أن اللغة هي أهم مميزات الإنسان الاجتماعية، كونه من خلالها هو الوحيد الذي يستطيع من ترجمة أفكاره ومشاعره إلى ألفاظ وعبارات مفهومة وواضحة مع الآخرين.

ويعرفها "علي عبد الواحد وافي" على أن" اللغة في كل مجتمع نظام عام يشترك الأفراد في إتباعه، ويتخذونه أساسا للتعبير عما يجول في خاطرهم، وفي تفاهمهم مع بعض". ويضيف أن اللغة هي" ظاهرة اجتماعية وهي بوصفها هذا تؤلف موضوعا من موضوعات علم الاجتماع". (وافي، 1983، ص ص 6-7).

ويضيف الدكتور "هادي نهر" أن اللغة " هي قطعة من الحياة الاجتماعية، نشأت فيها، وسارت معها، وغذت بغذائها، ونهضت بنهوضها، وركدت بركودها ...، ففي كل مجتمع مهما كانت طبيعته وحجمه تلعب اللغة دورا ذا أهميه أساسية باعتبارها من أقوى الروابط بين أعضاء ذلك المجتمع...". (نهر ، 1988، ص 19).

نستخلص أن اللغة هي عبارة عن مجموعة من الرموز الصوتية المنطوقة والمكتوبة والتي يحكمها نظام معين والتي لها دلالات محددة يتعارف عليها أفراد ذو ثقافة معينة، ويستخدمونها في التعبير عن حاجاتهم، ويحققون بها الاتصال فيما بينهم.

2.2 التباين اللغوي :

يوضح الباحثان "علي أسعد وطفة وعلي جاسم الشهاب" أن مصطلح التباين اللغوي بين الأفراد يعود إلى " التباين في أنماط الحياة الاجتماعية، وإلى التباين في أنماط التفكير والتصورات التي تحيط بكل فئة اجتماعية محددة، فنمط الحياة والتفكير عند فئة الفلاحين مثلا يختلف عنه عند العمال أو الفئة الاجتماعية الوسطى". (وطفة و الشهاب ، 2004، ص 168).

كما يعبر التباين اللغوي عن أنماط مختلفة من الإيحاء والتعبير، حيث أن هذه الأخيرة تتباين في مستوى رمزيتها و في مستوى تسلسلها المنطقي وفي غزارة المفردات أنماط الدلالة. (دينارزاد و علوط، 2017، ص 363).

ويعرف التباين اللغوي على أنه :"الاختلاف القائم بين الأفراد في تبني الأنماط التعبيرية المختلفة من حيث الرموز اللغوية المستعملة و البنية الدلالية التي تحملها هذه الرموز و القدرة على الاسترسال في الكلام والدقة في الوصف الاهتمام بالجزئيات وطول الجمل واختيار الألفاظ و المفردات المناسبة، إضافة إلى ما يتمتع به كل فرد من رصيد لغوي، وهي مؤشرات تختلف باختلاف الفئة الاجتماعية التي ينتمي إليها الفرد". (دينارزاد وعلوط، 2017، ص ص 363-364)

وجه"بازل برنشتاين" ملاحظاته أثناء دراسته للتباين اللغوي نحو الفئات الاجتماعية، حيث تعمل كل فئة على تنشئة أفرادها وفق معايير خاصة تختلف عن تلك التي تتبناها الفئات الأخرى، و ذلك وفق مبدأ أن أبناء العمال سيصبحون حتما عمالا و أبناء الأطباء سيصبحون حتما أطباء، و منه فان أبناء الفئة الاجتماعية الفقيرة و أبناء الفئة الاجتماعية المتوسطة في صراع منذ الطفولة ذلك أنهم ينتمون إلى أوساط اجتماعية وثقافية مختلفة تماما، وأن هذا الاختلاف يقوى و يزداد كلما كبر هذا الطفل ويظهر ذلك جليا في القاموس اللغوي لكل طفل، ذلك أن اللغة كلمات و نظام توضح وتعكس تجربة الفرد، فهي تتأثر بالخصائص الاجتماعية و الثقافية له. ومنه فإن اللغة هي التي تحدد مستوى الفرد ضمن الجماعة و تحدد موقعه في السلم الاجتماعي ويجعلنا ذلك في موقف تضاد مع الجماعات الأخرى التي تتمتع ببنية لغوية سوسيو-ثقافية مختلفة. (دينارزاد ، 2018/2017، ص 137)

3.2 الرموز المقيدة:

ويعرفها الدكتور "علي أسعد وطفة" على أنها لغة الاتصال في الحياة العامة وتتميز بالسهولة والبساطة كما ينقصها التسلسل المنطقي والتجريد الرمزي، ويشتمل هذا النمط من اللغة على منظومة من اللهجات المختلفة فلكل فئة اجتماعية أو وسط اجتماعي لهجته الخاصة وطرقه الخاصة في التعبير والتواصل. (وطفة، 2020)

إضافة إلى أنها " لغة حسية حركية تفتقر إلى أدوات الربط وينعدم فيها مستوى التعبير الرمزي المجرد، وتتداخل فيها المقدمات مع النتائج، كما تسودها عبارات طفيلية مثل أليس كذلك؟ أتدري؟ أتفهم ما أقصده؟...الخ". (وطفة و الشهاب، 2004، ص 169)

4.2 الرموز المفصلة :

ويعرفها الدكتور" وطفة" على أنها لغة رمزية مكتوبة، تتصف بدرجة عليا من التسلسل المنطقي، والتكامل الرمزي المجرد، ويتم استعمالها في المدرسة. (وطفة، 2020)

كما يطلق عليها أيضا "اللغة المتقنة، حيث تتميز بدرجة عليا من الرمزية والتجريد، واستخدام الضمائر وأدوات الترابط بطريقة سلسلة ومتكاملة مع بعض إضافة إلى التسلسل الزمني في الأفعال (ماضي وحاضر ومستقبل) (وطفة و الشهاب، 2004، ص169).

5.2 اللامساواة الاجتماعية المدرسية :

حسب " بيير بورديو" المدرسة ما هي إلا أداة تترجم اللامساواة الاجتماعية إلى صيغتها المدرسية عبر صيرورة من العمليات والأولويات المختلفة". وبالتالي فهي جهز أيديولوجي أوجدتها الدولة من أجل تكريس التباين الاجتماعي بين التلاميذ وفقا لمعيار الانتماء والأصل الاجتماعي والفئة الاجتماعية السائدة في المجتمع (وطفة و الشهاب، 2004، ص 185).

ويطرح "رايموند بودون" Raymond Boudon أن الأبعاد الأساسية المولدة للامساواة الاجتماعية اتجاه التعليم تنتج بالدرجة الأولى من خلال الربط بين نظامين اثنين وهما النظام المدرسي والنظام الاجتماعي، حيث توصل" بودون" في طرحه للامساواة الاجتماعية المدرسية إلى نتيجة سوسيولوجية مفادها أن تحقيق المساواة في المدرسة وتحقيق مبدأ تكافؤ الفرص التعليمية أمر مرهون ومربوط بوضعية التقسيم الاجتماعي والمكانة الاجتماعية للفئات الاجتماعية التي ينحدرون منها التلاميذ. (بودون و فيول، 2010، ص 55)

وحسب "سيزان فيرج" Suzanne ferge فإن اللامساواة الاجتماعية في المدرسة تعود إلى التباين الثقافي واللغوي القائم بين الأسر، وخاصة في مستوى التحصيل الدراسي للوالدين، أو في مستوى الاستهلاك الثقافي لهم وفقا لحجم المكتبة المتوفرة في المنزل، وعدد الكتب المقروءة، وعدد الوسائل الثقافية الموجودة في المنزل من تلفزيون وفيديو. (وطفة و الشهاب، 2004، ص 173).

نستخلص أن المدرسة تمارس اللامساواة الاجتماعية داخلها على التلاميذ تبعا لأصولهم الاجتماعية ووضعهم الاقتصادي، بالإضافة إلى مستوى ثقافة أسرهم، وهذه اللامساواة الاجتماعية المدرسية تقتصر على فئة معينة من التلاميذ وهي الفئة التي تعاني من ظروف اجتماعية واقتصادية وثقافية ضعيفة.

3. مقاربة الرموز اللغوية:

اشتغل العالم البريطاني السوسيولوجي التربوي"بازل برنارد برنشتاين" Basil Bernard Bernstein في مجال اللسانيات الاجتماعية، وأولى اهتمامه بمسألة اللغة وعلاقتها بالطبقة الاجتماعية المختلفة، وهذا ما تمخض عنه بروز مقاربته الموسومة **" بالرموز اللغوية"** في كتابه المشهور في المجال اللغوي والاجتماعي "اللغة والطبقات الاجتماعية" Langage et classes sociales سنة 1975م وفي كتابه الآخر الصفوف والرموز والدراسات النظرية الضابطة نحو علم اجتماع اللغة Class, Codes And Control Theoretical Studies Towards A Sociology Of Language سنة 1971م (Bernstien, Basil, 1971) . وهي مقاربة سوسيو-لغوية جد هامة تربط بين التباين اللغوي للأفراد وبين انتماءاتهم الاجتماعية وتحدد الفروق اللغوية للتلاميذ الذين ينتمون لمختلف الفئات الاجتماعية.

ارتبطت عند "برنشتاين" أنماط استخدام اللغة بالتباين الثقافي واللامساواة في المجال الاجتماعي؛ فالأطفال الذين ينشئون في أوساط اجتماعية مختلفة يطورون منذ نعومة أظافرهم وعبر مراحل حياتهم أشكال تفكير وتعبير ورموز مختلفة تؤثر على تجربتهم المدرسية لاحقا، ولا تقتصر هذه الرموز في المفردات وأساليب التعبير الشفوية بل تشمل أساليب استخدام اللغة وطرق التعبير المختلفة، فلغة تلاميذ الفئة الاجتماعية الوسطى والعليا تتسم بالاسترسال، والنضج والتفصيل فهم يكتسبون "رموزا مفصلة "Detailed Symbols حيث يتطابق أسلوب حديثهم مع الواقع المعبر عنه في تلك اللحظة في حين أن أبناء الفئة الفقيرة والعاملة يتميز حديثهم بكونه يمثل "رموزا مقيدة" Restricted Symbols أي أنهم يستعملون لغة غير منطقية وغير ناضجة وغير

مكتملة وتتسم بكونها وليدة سياقات ثقافية ضيقة ناتجة عن علاقات اجتماعية أولية، حيث يلتزم ضمنها (داخل هذه العلاقات) الأفراد تلقائيا بقيم ومعايير دون الإفصاح عنها. ويعتقد "برنشتاين" أن التلاميذ الذين اكتسبوا رموز مفصلة يكونون قادرين على التعامل والتواصل مع التعليم المدرسي مقابل التلاميذ الذين اكتسبوا رموز مقيدة، مما يسهل على الفئة الأولى التعامل والتكامل مع الثقافة المدرسية. (جيدنز، 2005، ص 558)

ويرجع برنشتاين هذا التباين اللغوي بين تلاميذ الفئة الاجتماعية المتوسطة أو الغنية وبين تلاميذ الفئة الاجتماعية الفقيرة إلى تباين طبيعة الحياة الأسرية الاجتماعية بين الفئتين، حيث أن نمط الحياة لكل فئة اجتماعية يتباين عن الأخرى وبهذا فإن اللغة أيضا تكون متباينة عند كل فئة .

وبطبيعة الحال وحسب "برنشتاين" أن المدرسة تستخدم الرموز المفصلة، وهو ما يسهل على التلاميذ الفئة الاجتماعية الميسورة والغنية فهمها والانسجام معها، في حين أن تلاميذ الفئة الاجتماعية الفقيرة و المهمشة يجدون صعوبة في فهم والتواصل مع الثقافة المدرسية، وهذا ما يفسر سببا في الفشل الدراسي الذي يعاني منه تلاميذ الفئة الأخيرة.

ويضيف الكاتب السوسيولوجي التربوي"عبد الكريم غريب" أن "برنشتاين" يرى أن الاختلاف والتفاوت في النتائج الدراسية للتلاميذ الذين ينتمون إلى فئات اجتماعية مختلفة، مرده إلى التفاوت الاجتماعي للأسرة التي ينتمون إليها، بالإضافة إلى استعمال شفرتين لسانيتين مختلفتين في وسطهم الأسري، كما يعتقد أن بنية العلاقات الاجتماعية داخل هذه الفئات هي التي تفسر وتبرر مميزات هاتين الشفرتين. (غريب، 2007، ص 45).

يتضح مما سبق؛ أن التطور اللغوي لدى التلاميذ مرهون بحد كبير بالفئة الاجتماعية التي ينتمون إليها سواء كانت هذه الفئة فقيرة أو متوسطة أو غنية، إضافة على ذلك أن النمو اللغوي لديهم يتأثر بطبيعة العلاقات الاجتماعية داخل الأسرة

الواحدة وهي لا تخدم تلاميذ الفئة الاجتماعية الفقيرة لأنها تتميز بكونها بسيطة ومباشرة ومهيمنة، عكس ما يحدث في طبيعة العلاقات للفئة الاجتماعية الغنية أو المتوسطة والتي تتميز بالحوار والمناقشة وإبداء الرأي.

وحتى تتضح الرؤية في هذه النظرية حول ما يتعلق بالتباين اللغوي بين التلاميذ في المدرسة؛ فإنه يعود إلى التباين في أشكال أو صور الحياة الاجتماعية، وإلى التباين في أنماط التفكير والتعبير التي تخص كل فئة اجتماعية؛ فنمط التفكير والتعبير عند الفئة الاجتماعية الفقيرة يختلف عنه عند الفئة الاجتماعية المتوسطة أو الغنية والمشكلة الأساسية التي يطرحها برنشتاين ماهي علاقة التباين اللغوي **للتلاميذ** باللامساواة الاجتماعية الموجودة داخل المدرسة ؟ وخلال البحث في معالجة هذه المشكلة توصل برنشتاين إلى أن لغة التلاميذ تتقارب أو تتباعد بدرجات مختلفة عن اللغة المدرسية، وهذا يعني أن لغة التلاميذ الذين ينتمون إلى الفئة الاجتماعية المتوسطة أو الغنية تكون متقاربة ومتجانسة مع اللغة المدرسيّة وبهذا تكون لديهم أفضل الفرص للنجاح والتفوق الدراسي، وعلى عكس ذلك فإن تلاميذ الفئة اجتماعية الفقيرة يفشلون في التواصل مع لغة المدرسة لأن لغتهم بعيدة ولا تتوافق مع لغة المدرسة.

4. تجربة نظرية "الرموز اللغوية":

انتبه "برنشتاين" إلى العلاقة المباشرة الموجودة بين الانتاجات اللغوية وبين الأصول الاجتماعية للمتكلمين، وانطلق من هذه الملاحظة لكي يصل إلى استنتاج مفاده أن أبناء الفئة الاجتماعية الفقيرة ذو مستوى تعليمي ضيق ومستوى اقتصادي محدود يواجهون صعوبات تعلم داخل المدرسة وبالتالي يكون تحصيلهم الدراسي ضعيف، أما أبناء الفئة الاجتماعية الغنية ذو مستوى تعليمي متوسط أو جيد فإنهم ينجحون في دراستهم ويكون تحصيلهم الدراسي جيد. ويميز بين هذا التفاوت الدراسي في مستوى التحصيل في ظل اللامساواة الاجتماعية التي خلقت الفرق بين الرمزين اللغويين اثنين وهما واحد ضيق"رموز مقيدة" والآخر متسع"رموز مفصلة".

(بوفرة ، 2011، ص ص 12-13)

Le code restreint :

le seul que dominent les enfants de milieux défavorisés.

Le code élaboré :

Dominé par les enfants des classes aisées qui dominent aussi le code précédent.

ولمعرفة حجم الفرق بين هاذين النظامين اللغويين تم إخضاع تلاميذ المستويين الاجتماعين المختلفين لتجربة مثيرة للاهتمام، فقد طلب منهم التعليق على مجموعة على الرسوم المتحركة الصامتة المعلقة(أطفال يلعبون الكرة، زجاج مكسور)، فماذا كانت النتيجة؟

- كان جواب الفئة الأولى: " Ils jouent au ballon, il shoote , ça casse carreau…

" هم يلعبون بالكرة، قذف، تكسر الزجاج ...".

- بينما كان جواب الفئة الثانية بهذا الأسلوب:

« Des enfants jouent au ballon, l'un shoote, le ballon traverse la fenêtre et casse carreau … " .»

كان الأطفال يلعبون بالكرة، قذف واحد منهم الكرة، ومرت عبر النافذة، وكسرت الزجاج ...".

ويكمن الفرق بين النظامين في شكل القراءة من الناحية اللغوية، أي من حيث قواعد النحو والتركيب ففي الحالة الأولى نجد جملا قصيرة تفتقر إلى ضمائر الربط مع معجم محدود جدا، لذا يجد أولئك التلاميذ صعوبة كبرى في القراءة والكتابة فهم عاجزون عن التعلم والتعامل مع ثقافة المدرسة واللغة المستعملة.

(بوفرة ،

2011، ص ص 12-13)

كما يرجع "برنشتاين" إلى الاختلاف بين هاذين الرمزين اللغويين لتلاميذ الفئات الاجتماعية المختلفة إلى التباين الاجتماعي الموجود بينهم أي تباين طبيعة الحياة الاجتماعية التي يعيشونها. ويمكن تلخيص نظرية "برنشتاين اللغوية في ثلاثة نقاط أساسية وهي كما يلي: (وطفة و الشهاب، 2004، ص 169)

- تطور المفردات اللغوية للتلميذ مرتبط لحد كبير بالبيئة الاجتماعية التي ينحدر منها.
- نمو القدرات العقلية للتلاميذ يرجع بشكل كبير إلى الدور التي تلعبه نمو وتطور اللغة الشفوية لديه.
- يتأثر النمو اللغوي وتطوره عند التلاميذ بطبيعة العلاقة القائمة بين أفراد الأسرة وهي لا تساعد على النمو اللغوي عند تلاميذ الفئة الاجتماعية الفقيرة لأنها تتمتع بعلاقة بسيطة ومباشرة وسلطوية. عكس ما يحدث في الوسط الاجتماعي للفئة الاجتماعية الغنية أو المتوسطة التي تتمتع بلغة التفاهم وأسلوب الحوار والتعبير.

ويضيف الباحث "عدنان أمين" مثال آخر عن علاقة التباين اللغوي بين أبناء الفئات الاجتماعية المختلفة في مقاربته "الرموز اللغوية" من خلال ما قدمه "برنشتاين" في كتابه "اللغة والطبقات لاجتماعية: الرموز اللغوية الاجتماعية والرقابة الاجتماعية المترجم للفرنسية سنة 1975م Langage et Classes sosiales : codes socio-languistiques et contrôle social وهو كما يلي :

* قام طفل بإسقاط إناء من الزجاج على الأرض عن طريق الخطأ مثلا فإن ردة فعل أمه تكون كما يلي:

- في الفئة الاجتماعية الفقيرة :

تقوم بضربه، أو بتوبيخه والصراخ عليه، أو تعنيفه رمزيا، أو تهديده، وتقول له هل أنت مجنون؟ هل أنت أعمى؟ سأخبر أباك ويعاقبك...الخ.

- في الفئة الاجتماعية المتوسطة أو الغنية:

تقول الأم مثلا : لقد قلت لك ألف مرة أن تتنبه وتتحرك ببطء حتى لا تكسر أي شيء لقد قلت لك سابقا إذا لم تنتبه وكسرت شيئا سوف أحرمك من اللعب مع أصدقائك وها أنا سأنفذ وعدي هذا، قلت لك أن هذا الإناء هدية فهو ثمين بالنسبة لنا وأننا يجب أن نهتم ونحافظ على الهدايا التي نتلقاها...الخ.

نجد هنا أن الأم في الفئة الاجتماعية الأولى تقوم بتوبيخ الطفل والصراخ عليه دون التفكير بأي شيء أما الأم في الفئة الاجتماعية الثانية فهي وبخت الطفل ولكن بأسلوب حسن وجيد لان هدفها كان ليس لومه أو توبيخه عن كسره للإناء وإنما هدفها تعليمه وتربيته من خلال التجارب التي يمر بها والاستفادة منها، وهنا نجد أن هذان النمطان يختلفان عن بعض من ناحية الأسلوب اللغوي واللغة التواصلية المستعملة حيث أن الفئة الأولى من خلالها أسلوبها اللغوي استعملت الرموز "المقيدة" أما الفئة الثانية استعملت "الرموز المفصلة".ومن هنا يتآلف الطفل من هاذين الرمزين اللغويين ويكتسبهما عن بيئته الاجتماعية. (الأمين، 2005، ص ص 62-63)

وعليه فإن مقاربة "برنشتاين" ذات طابع لغوي ولساني، بمعنى أن المدرسة فضاء للصراع اللغوي واللساني. فلغة أبناء الفئة الاجتماعية المتوسطة أو الغنية تمتاز بالخصوبة، والاسترسال، والمرونة، والترابط المنطقي والحجاجي. وتميل أيضا إلى التجريد، والترميز علاوة على استعمالها للجمل الطويلة التي تضم بالصفات وأدوات الوصل والفصل.في حين تمتاز لغة أبناء الفئة الاجتماعية الفقيرة باستعمال شفرة لغوية ضيقة ومحدودة، كما أنها لغة مفككة ومهلهلة، غير خاضعة لعمليات التحليل والتأليف المنطقي استقراء واستنتاجا (حمداوي، 2015، ص 94).

5. أوجه الاختلاف بين الرموز المقيدة والرموز المفصلة:

تتعدد أوجه الاختلاف بين الرموز المقيدة والرموز المفصلة حسب ما جاء به "برنشتاين" في مقاربته السوسيو-لغوية ومن خلال تجاربه التي قام بها لتصنيف هذه الرموز اللغوية في النقاط التالية وهي: (الأمين، 2005، ص 63)

- **من حيث دور التعبير الجسدي:** في الرموز المفصلة يكون للتعبير الجسدي دورا هامشيا، والدور الرئيسي كله يكون للتعبير اللفظي أو الرمزي، إذ يعتبر هو الناقل الأساسي للرسالة، وتتوسط هنا اللغة بين المشاعر والأفكار. أما الرموز المقيدة فيكون للتعبير الجسدي دورا أساسيا بديلا عن التعبير اللفظي أو مصاحبا له في بعض الأحيان، بحيث يتم نقل المشاعر والأفكار عن طريق تعبير الجسد مباشرة.

- **من حيث التركيب اللغوي:** في الرموز المقيدة تكون الجمل قصيرة وبسيطة من جهة القواعد النحوية، غالبا تكون غير منتهية، وتتكرر فيها أدوات العطف بكثرة تجمع بين عدة مواضيع مختلفة وغير مترابطة مع بعض لا شكلا ولا معنى ولا مضمونا، مما يجعلها جملا ركيكة، وتكون عرضة للتفكك بسهولة بسبب عدم اقتصارها على موضوع واحد. إضافة إلى ذلك فإنه يكثر استعمال التعابير التي تطلب موافقة المخاطب مثل (أليس كذلك، أنت تفهم ما أقصد، ألا ترى؟)، كما يكثر استعمال الجمل الشبيهة بالحكم الشعبية. في المقابل فإن الرموز المفصلة تكون فيها الجمل طويلة مصاغة بصورة متماسكة ومكتملة ومترابطة عن طريق الضمائر وأدوات الربط ومبينة على قواعد نحوية وصرفية صحيحة وكاملة.

- **من حيث الربط السببي والزمني:** إن تركيب الجمل وتعقيدها في الرموز المفصلة يكون عن طريق ربط الأفعال بأسباب حدوثها، وعن ربطها بمفعولاتها المتنوعة، حيث أن هذه الأخيرة تقع في المتقبل القريب أو البعيد في المقابل فإن المفعولات المتنوعة في الرموز المقيدة تقوم فقط عند حدوث الفعل، أو عند إدراك حدوثه من قبل الكبار، ولا يوجد آثار مترتبة عليه في المستقبل، مما يضيق لدى الطفل إدراك الزمن ويحد من امتداده. (الأمين ، 2005، ص ص 63-64)

- **من حيث الجزاء ونمط الانضباط:** يفقد الجزاء في الرموز المفصلة عقلانيته لأنه يتعلق بظروف وموقف الطفل وبانفعال الكبار، وهنا يكون على أساس نتائج حدوث الفعل وعدم فهم أساب حدوثه، وبما أن الأفعال لا تتشابه وتختلف في مكان حدوثها، فيزيد الجزاء قوة وينخفضن أو يتكرر في كل مرة كما هو، إضافة إلى أن الخطأ يقابله جزاء ليس أكيد، وهذا ا يؤدي إلى عدم الانضباط أو إلى الانضباط الشديد. أما في الرموز المفصلة نجد أن الكلام يتوسط المشاعر والأفكار، مما يؤدي إلى ضبط التعبير المباشر عن المشاعر، وخاصة المشاعر الاندفاعية أو الانفعالية عند الكبار والصغار، حيث يجري كبح الانفعال وضبط السلوك عن طريق اللغة والتحكم العقلي، مما يؤدي إلى كبح التعبير الجسدي المباشر عن المشاعر والعواطف، وذلك لأن الخطأ المرتكب ليس فعل قصدي، بل هو خطأ حدث نتيجة ظروف أو أسباب، و يقوم التي هنا الكبار في البحث عنها، فيحلون الاهتمام بالفعل الخاطئ إلى البحث في أسباب حدوثه، وهنا يرسي الكبار في عقول الصغار التهذيب والتعبير عن أفعالهم الخاطئة دون أي خوف من العقاب ومحاولة عدم الوقوع فيها.

- **من حيث فردية التعبير:**

إن استعمال القاموس اللغوي المحدود عند فئة الرموز المقيدة، وعدم الحاجة إلى التسويغ والتفكير بالنتائج البعيدة... كل هذا يقلل من فرص القدرة على التعبير عن الذات الفردية وخاصة بحضور الكبار؛ فمثلا عندما يعود الأب إلى المنزل فعلى الأطفال أن يسكتوا وأن يجلسوا في أماكنهم. بالمقابل نجد أن الأطفال من فئة الرموز المفصلة يستطيعون ان يعبروا عن مشاعرهم لفظيا، ويزيد من حساسيتهم تجاه الفروق بين الكلمات المختارة، ويجعلهم ينتهون إلى الإمكانات الكبيرة التي يقدمها نظام معقد من المفاهيم المترتبة للتعبير عن تجربتهم . (الأمين، 2005، ص ص64-66)

إن الفرق في القاموس اللغوي بين الطفلين من الفئتين الاجتماعيين ليس مهما كبيرا، بقدر ما يهم الفرق في المكان الذي يجمعهم يربطان ما يملكانه من مفردات مشتركة، ولكن بطريقة مختلفة تبعا للرموز اللغوية المكتسبة (الرموز المفصلة والرموز

المقيدة)، وهذا ما يؤدي إلى تباين لغوي بينهما ما ينتج عنه اللامساواة الاجتماعية في المدرسة تبعا للفئات الاجتماعية التي ينتمون إليها. (الأمين، 2005، ص ص 66)

كما وضح "برنشتاين" أن هذه الفروق في الرموز اللغوية، والتي تظهر بوضوح من خلال التباين اللغوي في المدرسة؛ لا تعبر إطلاقا عن ذكاء الطفل وقدراته العقلية والفكرية، إنما ناتجة عن الضبط الاجتماعي وعن التنشئة الاجتماعية في الفئتين الاجتماعيتين، وفي نظام العلاقات الاجتماعية بين الأفراد. إضافة إلى أن الرموز المقيدة لا تعبر عن وجود -كما سماها- "إعاقة لغوية" لدى حاملها، وليس الحل في البيداغوجيا التعويضية أو المساندة، بل يجب التركيز على نمط الفئات الاجتماعية بحد ذاتها، لأنه تقوم بينها فروق ثقافية-لغوية-علائقية وبالتالي فإن اللغة ليست وسيلة للتواصل والتخاطب فحسب وإنما هي ضبط للسلوك أيضا في مواقف مختلفة وتعكس مباشرة تنشئة الفرد وينتمي لأي فئة اجتماعية. (Berstien, Basil, 1975, p. 34)

6. الانتقادات الموجهة لمقاربة "برنشتاين":

يوضح الباحث الدكتور "عدنان الأمين" في كتابه "اللاتجانس الاجتماعي سيوسيولوجيا الفرص الدراسية في العالم العربي" أن هذه المقاربة تعرضت لانتقادات كثيرة من طرف الباحثين المنتقدين، سواء كان ذلك من حيث الأسلوب المنهجي الذي استخدمه "برنشتاين" في استخراج واستنتاج الرموز اللغوية (الرموز المقيدة والرموز المفصلة) أي بمعنى وضعيات الاتصال التي جمعت منها الشواهد، أو من حيث ما أدت إليه من استنتاجات ومفاعيل، وأبرز ما وصلت إليه مفاهيم ومصطلحات في بعدها الثقافي والاجتماعي"كالعجز والإعاقة الثقافية" و"البيداغوجيا التعويضية" أو "البيداغوجيا المساندة"...، وهي مفاهيم تنظر للثقافة الشعبية الفقيرة نظرة دونية ودون المستوى، وعلى اعتبار المدرسة تكون خارج هذه الشبهات، وكانت الحجة والبرهان الواقعي القوي للمنتقدين لهذه المقاربة السوسيو-لغوية هي فشل تجربة البيداغوجيا المساندة والمساعدة في النظام التعليمي للولايات المتحدة الأمريكية.

(الأمين ، 1993، ص ص 26-27)

رغم الانتقادات التي وجهت لمقاربة "لبرنشتاين"، إلا أن هذه المقاربة تفتح رؤية خاصة من أجل التفكير النقدي للامساواة الاجتماعية وعدم تكافؤ لفرص الدراسية في المدرسة، انطلاقا من التباين اللغوي في بعدها الاجتماعي والثقافي، وعلى هذا الأساس يعاد التفكير في وظيفة المدرسة التي تكرس التميز الثقافي والاجتماعي بناءا على التباين اللغوي للانتماءات الاجتماعية للتلاميذ.

7. خاتمة:

وفي الختام نستخلص أن "برنشتاين" تناول ظاهرة تربوية مهمة لا تزال حديثة في وقتنا الحالي وهي مشكلة التباين اللغوي بين التلاميذ وعلاقتها باللامساواة الاجتماعية الموجودة في المدرسة في مقاربته "الرموز اللغوية"بناءا على نمط الفئة الاجتماعية التي ينتمون إليها في ظل تنوع لغوي تتسم به كل المجتمعات الحديثة، وهذا ما جعله يقسم هذا التباين اللغوي إلى نمطين اثنين النمط الأول الرموز المقيدة تحملها الفئة الاجتماعية الفقيرة والنمط الثاني الرموز المفصلة تحملها الفئة الاجتماعية المتوسطة أو الغنية.

كما تطرق في مقاربته هذه إلى مجموعة من الخصائص اللغوية التي تتميز بها لغة الفئة الاجتماعية المتوسطة أو الغنية حيث تمتاز الخصوبة والاسترسال والمرونة والترابط المنطقي والحجاجي، إضافة التجريد والترميز، في المقابل نجد لغة الفئة الاجتماعية الفقيرة تتسم بالهلهلة والتفكك يغيب فيها التحليل والتأليف والتركيب اللغوي المنطقي.

وحسب "برنشتاين" أن مشكلة التباين اللغوي بين التلاميذ من المشاكل السوسيو-تربوية التي لابد لها من أن تكون محل اهتمام شديد من طرف المتخصصين في علم الاجتماع، لما لها من ارتباط وثيق لا انفصام فيه بين مسألة اللغة وعلاقتها بالوسط الاجتماعي للتلاميذ، فهي تنبع عن أهمية العدالة والمساواة التي يجب أن تطبقها المدرسة بينهم بغض النظر عن انتماءاتهم وأصولهم الاجتماعية. ولعل هذه

الدراسة قد تكون انطلاقة لمواضيع أخرى جديدة ومشابهة في هذا المجال مثلا كدراسة مقارنة بين الرموز المقيدة والرموز المفصلة.

قائمة المراجع :

1. الأمين، عدنان. (2005). **التنشئة الاجتماعية وتكوين الطباع**. الدار البيضاء،المغرب: المركز الثقافي العربي.

2. الأمين، عدنان. (1993). **اللاتجانس الاجتماعي سوسيولوجيا الفرص الدراسية في العالم العربي**. بيروت، لبنان: شركة المطبوعات للنشر والتوزيع.

3. الطائي، حاتم علو. (2009). **نشأة اللغة وأهميتها**. دراسات تربوية.(العدد6)، الصفحات 195- 220 .

4. انسي، محمد أحمد. (2000). **اللغة والتواصل لدى الطفل**. الاسكندرية،مصر: مركز الاسكندرية.

5. بودون، ريمون؛فيول، رينو. (2010). **الطرائق في علم الاجتماع**. لبنان: مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

6. بوفرة, عبد الكريم. (2011). **علم اللغة الاجتماعي مدخل نظري**. كلية الآداب والعلوم الانسانية. جامعة محمد الأول. وجدة: شبكة الألوكة للنشر.

7. جيدنز، أنتوني. (2005). **علم الاجتماع**. بيروت: المنظمة العربية للترجمة.

8. حسام الدين، كريم زكي. (دون السنة). **اللغة والثقافة دراسة انثرو-لغوية لألفاظ وعلاقات القرابة في الثقافة العربية**. القاهرة، مصر: دار غريب للطباعة والنشر.

9. حمداوي، جميل. (2015). **سوسيولوجيا التربية**. وجدة، المغرب: شبكة الألوكة.

10. دينارزاد، ربيحة بوزار. (2018/2017). **التباين اللغوي والفئوية الاجتماعية دراسة ميدانية حول اللغة العربية لدى متعلمي السنة الخامسة ابتدائي**، كلية العلوم الانسانية والاجتماعية، قسم علم الاجتماع والديموغرافيا، جامعة زيان عاشور - الجلفة-، الجزائر.

11. دينارزاد، ربيحة بوزار؛ علوط، الباتول .(2017/06/25). **التباين اللغوي والفئوية الاجتماعية دراسة تأثير الانتماء الاجتماعي على اللغة العربية للمتعلم من النظرة الخلدونية إلى بازيل برنشتاين** .مجلة أنسنة للبحوث والدراسات. المجلد8.(العدد1)، الصفحات 377- 358.

12. غريب، عبد الكريم. (2007). **المعجم في أعلام التربية والعلوم الإنسانية**. الدار البيضاء، المغرب: منشورات عالم التربية.

13. نهر، هادي. (1988). **علم اللغة الاجتماعي عند العرب**. بغداد: جامعة المستنصرية.

14. وافي، علي عبد الواحد .(1983) .**اللغة والمجتمع** . الرياض : شركة مكتبات عكاظ للنشر والتوزيع.

15. وطفة، علي أسعد (11/ 2020/10). **اللغة والطبقة والإنتماء الاجتماعي رؤية نقدية في طروحات بازيل برنشتاين اللغوية**. تاريخ الاسترداد (2020/12/02)،الموقع الالكتروني : http://www.altanweeri.net/?p=5182 ?

16. وطفة، علي أسعد؛ الشهاب، علي جاسم. (2004). **علم الاجتماع المدرسي بنيوية الظاهرة المدرسية ووظيفتها الاجتماعية**. بيروت، لبنان: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع.

17. Bernstien, Basil. (1971). **Class, Codes And Control Theoretical Studies Towards A Sociology Of Language**. London: Routledge.

18. Berstien, Basil. (1975). **Langage et Classes sosiales** : codes socio-languistiques et contrôle social. Paris: Editions Munuit.